doi.org/10.52866/esj.2020.03.16.04

البيانُ في تَنَاسُبِ أَقْسَام القرآن
دراسة بلاغية في تفسير جزء عمَّ للشيخ ابن عثيمين (1347 - 1421 هـ)

أ.م.د. منير محمد الدَّحام
جامعة تكريت -كلية التربية للعلوم الإنسانية -قسم اللغة العربية

المستخلص

من المعلوم أنّ كتاب الله تعالى لا تنقضي عجائبه ولا يحاط بما فيه من بلاغة وإعجاز، وقد اعتنى البلاغيون بدراسة بلاغته وبيانه ولكنهم أبعدوا موضوع القَسَم في القرآن الكريم عن الموضوعات البلاغية؛ لأنه من الإنشاء غير الطلبي، ومعلوم أنّ اهتمامهم كان منصباً حول موضوعات الإنشاء الطلبي وأغراضها البلاغية؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتقف على بلاغة المناسبة بين المقسَم به و المقسَم عليه في جزء عمّ وتفسيره للشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ لأنّ هذا الجزء من أكثر أجزاء القرآن الكريم التي تقرأ وتحفظ، مع كثرة سور هذا الجزء والتي بلغ عددها سبعاً وثلاثين سورة، ولأهمية موضوعاتها المتعلقة بتوحيد الله، والقيامة، والبعث، وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية: البيان، اقسام القرآن، دراسة بلاغية، ابن عثيمين، جزء عمَّ.

handout in fit sections of the Al-quranThe
A rhetorical study in the interpretation of the part of Amma byShaykhIbn ʻUthaymeen

Assis. Prof. Mounir Mohamed Al-Daham
Tikrit University - College of Education for Humanities -
Department of Arabic Language

Abstract

It is well known that the book of God does not expire his wonders and is not surrounded by the eloquence and miracles and the Balaggyon took care of the study of his rhetoric and proclamation, but they ultimate the subject of the swearing in the quranon the rhetorical issues, because it is a non-demanded promotion.

And It is known that their interest was focused on the topics of the demanded promotion and its rhetorical purposes,So this study comes to stand for the eloquence of the occasion between the swearing in himand swearing at him in the part of Amma and his interpretation of Sheikh IbnUthaymeen(God's mercy) because this part of the most parts of the quran, which read and reserved with the multitude sura, which number thirty-seven Sura and the importance of its subjects that related to the monotheism and doomsday and resurrection and so on.-

handout , Al-quran, A rhetorical study , ShaykhIbn ʻUthaymeen, part of Amma.

المقدّمة

إنّ الحمد لله، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِينُهُ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لهُ وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فمـمّا لا شك فيه أنّ كتاب الله تعالى لا تنقضي عجائبه، ولا يُحاطُ بما فيه من البلاغة والإعجاز، وقد تحدى الله تعالى أفصح العرب في أن يأتوا بمثله أو أن يأتوا بآية من مثله، فعجزوا عن المعارضة، مع مايملكون من فصاحة وبلاغة وبيان.

ومعلوم أنّ للشيخ ابن عثيمين رحمه الله مكانة كبيرة بين العلماء وطلبة العلم، وقد كتب الباحثون المعاصرون كثيراً من البحوث والدراسات التي تناولت جهوده في الفقه والتفسير وعلوم القرآن وغيرها، ويأتي هذا البحث ليقف على جهوده حول مناسبة المقسم به للمقسم عليه ولطائفه البلاغية، من خلال تفسيره لـ (جزء عمَّ).

وقد أبعد البلاغيون موضوع القَسَم عن الدراسات البلاغية، إذ ليس فيه – حسب زعمهم– أغراض بلاغية ولطائف بيانية؛ لأنه من الإنشاء غير الطلبي، ومعلوم أنّ الإنشاء غير الطلبي لم يلقَ من العناية ما لقيه الإنشاء الطلبي؛ فلم يتطرقوا للطائفه البلاغية ومناسباته البيانية؛ لذا اخترت أن يكون عنوان بحثي:

البيانُ في تَنَاسُبِ أَقْسَام القرآن
دراسة بلاغية في تفسير جزء عمّ للشيخ ابن عثيمين
(1347 – 1421هـ)

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع أيضاً:

1. أنّ هذا الجزء أكثر أجزاء القرآن التي تقرأ وتحفظ وتتلى في الصلوات الخمس وفي غيرها من النوافل، مع كثرة سوره والتي بلغ عددها سبعاً وثلاثين سورة، ولأهمية موضوعاتها المتعلقة بالعقيدة وتوحيد الله تعالى، وأحوال القيامة، والبعث، وغير ذلك.
2. الوقوف على شيء من إعجاز القرآن الحكيم وبلاغته ودقة انتقاء كلماته، وتدبر آياته وفهم معانيه.
3. الحاجة الماسّة لنشر جهود وآراء علماء السلف في هذا الباب، والوقوف على أقوالهم فيه، ومنها الإطلاع على جهود الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في هذا الموضوع.

أمّا **خطة البحث** فقد رتبتها في مقدّمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدّمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على نُبذة مختصرة عن الشيخ ابن عثيمين وآثاره.

المبحث الأول: المناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه.

المبحث الثاني: مناسبة القَسَم وبلاغته في سورة الطارق.

المبحث الثالث: مناسبة القَسَم وبلاغته في سورة الليل.

المبحث الرابع: مناسبة القَسَم وبلاغته في سورة البروج.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

أمّا عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع والفارق بينها وبين دراستي فأهمها:

1 – (التناسب بين المقسَم به والمقسَم عليه وأثره في التفسير)، لمحمد بن علي القرني، وهي رسالة علمية بيّن فيها الباحث أوجه التناسب بين المقسَم به والمقسَم عليه في القرآن الكريم وأثر ذلك في التفسير، ولم يتناول الموضوع بلاغياً إلا في بعض الأحيان، ثم أنّ موضوع بحثي مخصص في تفسير جزء عمّ للشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

2 – (التناسب بين القسَم المفرد وجوابه في القرآن الكريم).

3 – (التناسب بين القسَم المتعدد وجوابه في القرآن الكريم).

كلاهما للدكتور ناصر بن محمد الدوسري، ولم أقف على هاتين الدراستين، وعنوانهما واضح فهما لم يخصصا لدراسة الموضوع من الوجهة البلاغية كما هو واضح من العنوانين، أمّا بحثي فقد درس المناسبة بين أركان القَسَم (المقسَم به والمقسَم عليه) دراسة بلاغية عند الشيخ ابن عثيمين في تفسيره لجزء عمّ.

فلم أجد –حسب علمي– دراسة علمية تناولت بلاغة المناسبة بين أركان القَسَم (المقسم به والمقسم عليه) عند الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

وبعد، فهذا البحث بذلت فيه ما بوسعي، والله أسأل أن يتمّ عليّ نعمته، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التمهيد

نُبذةٌ مختصرة عن الشيخ ابن عثيمين وآثاره

كتب الكثير من تلاميذ الشيخ ابن عثيمين ومن المعاصرين له عن حياة شيخهم وآثاره وجهوده رحمه الله، ونريد – في هذا البحث – أن ننتخب مما كتبوا ما يصلح أن يدخل في صُلْبِ هذا العنوان من دون حاجة للتوسع في ذلك؛ لأنّ ما يخص حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى موجودة في مظانها، وبناءً على هذا سيكون الكلام على هذا الموضوع مختصاً بالعنوانات الآتية:

الأول: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو عبد الله، محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل من آل مقبل من آل ريِّس الوهيبي التميمي، وجدُّه الرابع عثمان أطلق عليه عثيمين فاشتهر به، وهو من فخذ «وهبه» من تميم، نزح أجداده من الوشم إلى مدينة عُنَيْزَة[1].

الثاني: مولده ونشأته:

ولد الشيخ ابن عثيمين في السابع والعشرين من شهر رمضان لسنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، في مدينة عُنَيْزَة إحدى مدن القصيم، وحفظ القرآن الكريم على جدّه لأمه الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ إمام مسجد الخريزة، وقد رزقه الله ذكاءً وهمة عالية في تحصيل العلم وكانت بداية ذلك عام (1360 هـ)، ثم كانت نشأته في التحصيل واغتنام الوقت وحفظه للمتون المختصرة على شيخه الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع (ت1383) قبل أن ينظمَّ إلى دروس شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي[2].

الثالث: شيوخه:

ومِن أَبرز شيوخه رحمه الله تعالى[3]:

أ. الشيخ المفسِّر عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت1376 هـ) رحمه الله.

---

(1) ينظر: الجامع لحياة الشيخ ابن عثيمين: 10.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 10، وما بعدها.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 48.

ب. الشيخ المفسِّر اللغوي محمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ) رحمه الله.

ت. الشيخ المحدِّث عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت1420هـ) رحمه الله.

الرابع: تلاميذه:

أَمَّا طلبة الشيخ ابن عثيمين فقد كثر عددهم، إذ وصل العدد في مسجده إلى أكثر من ستمائة طالب على مختلف المستويات، ومِن أَبرزهم[1]:

1. الشيخ الدكتور خالد بن علي بن محمد المشيقح، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم.

2. الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد الطيار، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم.

3. الشيخ الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم.

4. الشيخ الدكتور سامي بن محمد الصقير، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم، صهر الشيخ، وكان ينوب عنه في الصلاة والدرس في المسجد الجامع.

5. الشيخ الدكتور خالد بن عبد الله المصلح، أستاذ الفقه بكلية الشريعة بجامعة القصيم، صهر الشيخ ابن عثيمين أيضاً.

5. الشيخ الدكتور وليد بن أحمد الحسين الزبيري العراقي، رئيس تحرير مجلة الحكمة.

الخامس: آثاره العلمية:

ومِن آثار الشيخ العلمية في العربية وعلومها[2]:

1 – شرح الآجرومية.

2 – شرح ألفية ابن مالك.

3 – شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية.

4 – شرح الدرة اليتيمة.

5 – قواعد في الإملاء.

6 – مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

السادس: وفاته:

وقبل مغرب يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر شوال من عام (1421هـ) توفي الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في مدينة جدة، ودفن في مقبرة العدل بمكة[3].

المبحث الأول

المناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه

المناسبة في اللغة: مصدر ناسب يناسب مناسبة، وأصل هذه المادة (النون والسين والباء) يدور حول اتصال شيء بشيء[4].

والمناسبة: المقاربة والمشاكلة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله، وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل[5].

أمّا **المناسبة في الإصطلاح**: فهي علم تُعْرَفُ منه عِلَلُ ترتيب أجزاء القرآن الكريم في سوره وآياته[6].

والمناسبة في كتاب الله تعالى ((هي وجه الإرتباط بين الآية والآية التي تليها، والسورة والسورة التي

(1) ينظر: الجامع لحياة الشيخ ابن عثيمين: 50، 54، 55، 56، 57.

(2) ينظر: الشيخ ابن عثيمين جهود وآراؤه في علوم البلاغة: 39، وما بعدها.

(3) ينظر: الجامع لحياة الشيخ ابن عثيمين: 179، وما بعدها.

(4) ينظر: مقاييس اللغة: 2/ 557، (نسب).

(5) ينظر: لسان العرب: 14/ 242، (نسب).

(6) ينظر: نظم الدرر: 1/ 5.

وينظر التعريف البلاغي للمناسبة وتطوّره في كتاب «معجم المصطلحات البلاغية وتطوّره: 3/ 307، وما بعدها»، لأستاذنا الدكتور أحمد مطلوب (ت1439هـ) رحمه الله.

تليها، وفاتحة السورة وخاتمتها ونحو ذلك))[1].

وهو علم شريف عظيم[2].

و((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))[3]، أعني ((إرتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني))[4].

فكتاب الله كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته[5].

((لذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو))[6].

وذهب بعض العلماء إلى عدم جواز تطلب المناسبات في القرآن الكريم؛ لأنّ الآيات كانت تتنزل في وقائع وأزمان متعددة، فلا يتأتى ربط بعضه ببعض. وذهب قوم إلى جواز ذلك، وتكلّفوا في ذلك من غير ضابط أو قيد[7].

والصواب – والله أعلم– مع من توسط في ذلك، وهو جواز طلب المناسبات، وأنه علم حسن، على أن لا يتكلّف وأن لا يجزم بذلك، غاية الأمر أنّ هذا ما أداه إليه تدبره واجتهاده[8].

قال الشيخ عطية محمد سالم (ت1420 هـ): ((ما كانت المناسبة فيه واضحة، فلا ينبغي إغفاله، وما كانت خفية لا ينبغي التكلّف له))[9].

ومعلوم أنّ ترتيب الآيات القرآنية كان بتوقيف من الرسول ﷺ، فقد ذكر الشيخ ابن عثيمين ((أنّ ترتيب الآيات توقيفي ليس للعقل فيه مجال))[10].

فإذا كان الحال كذلك فقد يكون في هذا الترتيب حكمة وسر قد تظهر وقد تخفى، وإن اختلفت أوقات نزوله؛ لأنّ ترتيبه من لدن حكيم عليم[11].

ولأهمية علم المناسبة عند الشيخ ابن عثيمين فقد وقف على عدة أنواع من المناسبات وأولاه عناية كبيرة فيما يراهُ مناسبةً ظاهرةً، ولم يلتزم ذلك في كل آيات القرآن الحكيم[12].

قال رحمه الله عند تفسيره لقول تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: 2]: ((وإذا كان حكيماً فإننا نعلمُ أنه: أولاً: حكيمٌ في ترتيبه، فكُلُّ آية إلى جَنْبِ الأخرى حتى وإن ظننا أنه لا ارتباطَ بينهما، فإنما ذلك إمّا لقصورنا أو لتقصيرنا))[13].

(1) دراسات في علوم القرآن الكريم: 447.
(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 36، وما بعدها.
(3) المصدر نفسه: 36.
(4) المصدر نفسه: 37.
(5) ينظر: الإتقان: 3/ 273.
(6) نظم الدرر: 1/ 5.
(7) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 37، ومباحث في علوم القرآن: 151، وما بعدها، وعلم المناسبات وأهميته في القرآن الكريم وكشف إعجازه: 58، وما بعدها.
(8) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن: 67، وأضواء البيان: 9/ 73، وجهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن: 288، وعلم المناسبات في السور والآيات: 37.
(9) أضواء البيان: 9/ 304.
(10) تفسير سورة البقرة: 3/ 177. وينظر: تفسير سورة يس: 11.
(11) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن: 79، ومجموع الفتاوى: 7/ 214، والبرهان في علوم القرآن: 38، وتناسق الدرر في تناسب السور: 56، وعلم المناسبات في السور والآيات: 17، وما بعدها.
(12) ينظر على سبيل المثال أمثلة ذلك في تفسير جزء عم: 28، 52، 67، 113، 294، 321، 322. وينظر أيضاً: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن: 288، وما بعدها، والتناسب بين المقسَم به والمقسَم عليه وأثره في التفسير: 37.
(13) تفسير سورة يس: 10–11. وينظر: تفسير سورة البقرة: 3/ 177.

وذكر رحمه الله أيضاً ((أنّ ختم الآية باسم من أسماء الله تعالى لا يكون إلا مناسباً لذلك الحكم، ولا يخرج عن هذه القاعدة شيء إلا لسبب))[1].

ونستطيع أن نزيد هنا - في علم المناسبات - نوعاً آخر وهو (المناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه)، وهذا من لطائف القسم في كتاب الله أنك تجد علاقة ومناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، ولعلك في كل موضع من مواضع القَسَم تقف على تناسب بين أركان القَسَم (المقسم به والمقسم عليه) يزيد التعبير القرآني بلاغة وتناسقاً وانسجاماً.

وهنا يذكر الشيخ ابن عثيمين فائدة في القَسَم بل يعدها قاعدة وهي ((أنّ كل قَسَم في القرآن لابدّ أن يكون بينه وبين المقسم عليه مناسبة، وهذه قاعدةٌ لكن قد تكون ظاهرةً، وقد تكون خفيةً))[2].

ففي قولك: (وربّ الكعبة لأحجنَّ إن شاء الله)، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: ((المقسم به وعليه متناسب؛ لأنّ الطوافَ بالكعبة رُكنٌ من أركان الحج فبينهما مناسبة))[3].

وهذه القاعدة ذكرها أيضاً الشيخ عطية محمد سالم إذ قال: ((وبعد التأمل، ظهر - والله أعلم- أنه سبحانه لا يقسم بشيء في موضع دون غيره إلا لغرض يتعلق بهذا الموضع، يكون بين المقسم به والمقسم عليه مناسبة وارتباط، وقد يظهر ذلك جلياً، وقد يكون خفياً، وهذا فعلاً ما تقتضيه الحكمة والإعجاز في القرآن))[4].

قال الدكتور عبد العزيز الحربي: ((كل قَسَم وجوابه في القرآن الكريم؛ بين المُقسَم به وجواب القَسَم علاقةٌ مّا))[5].

وسبقهم إلى ذلك العلاّمة ابن قيم الجوزية (ت751هـ) رحمه الله في كتابه القيّم (التبيان في أيمان القرآن)، فجلَّى ما كان خفياً من مناسبات بين المقسم به والمقسم عليه، فرسم منهجاً واضحاً بعيداً عن التكلّف، معتمداً على تفسير السلف ومقاصد تلك الآيات والسور[6]، ولعله أول من وضع معالم هذا الوجه البلاغي اللطيف بشكل مفصّل وشامل لجميع أقسام القرآن العظيم مع بيان لطائف القسم[7].

وأكثر من كتب في أقسام القرآن بعده قد اعتمد على كتابه هذا، وقد تأثر به الشيخ ابن عثيمين وأثنى عليه[8]، وهو أحد مصادره رحمه الله في بيان بلاغة القَسَم القرآني وأسراره وإعجازه.

أمّا القَسَم فأصل ذلك من القَسَامة، وهي الأيمان تُقسَمُ على أولياء المقتول إذا ادّعَوا دمَ مقتولهم على ناس اتهموهم به، ثم صار اسماً لكل حلف[9].

والإقسام: مصدر أقسَمَ يقسم إذا حلف. وله عدة أسماء هي: يمين، أليّة، حَلف، قَسَم، وكلها

---

(1) التعليق على القواعد الحسان: 90. وينظر: الشيخ ابن عثيمين جهوده وآراؤه في علوم البلاغة: 624، وما بعدها.

(2) شرح أصول في التفسير: 311.
وسيأتي تفصيل هذا النوع من أنواع المناسبات (المناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه)، عند الشيخ ابن عثيمين مع أمثلته من جزء عمّ في المباحث الآتية.

(3) المصدر نفسه: 311.

(4) أضواء البيان: 9/ 69.

(5) وَجْهُ النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار: 453.

(6) ينظر: التبيان في أيمان القرآن: 88، 110، وما بعدها، 141، وإعجاز القرآن الكريم عند ابن القيم: 383.

(7) ينظر: إمعان في أقسام القرآن: 10 (مقدّمة الأستاذ على الندوي «ت1420هـ»).

(8) ينظر: تفسير جزء عمّ: 147.

(9) ينظر: مقاييس اللغة: 2/ 400، ومفردات ألفاظ القرآن: 420، (قَسَم).

بمعنى واحد[1].

وعرّف الشيخ ابن عثيمين القَسَم بأنه تأكيد الشيء بذكر مُعَظَّم عند الحالف على وجه مخصوص[2].

وذكر رحمه الله حروفه وهي: الواو، والباء، والتاء، كقولك: (والله)، و(بالله) و(تالله)[3].

وأنّ القَسَم نفسه إنشاء، والمُقسَم عليه خبر، فإذا قلتُ: والله إني فاهمٌ، فالجملة فيها خبر وقَسَم، (والله) هذا قَسَم، لا يمكن لأحدٍ أن يقول لك: صدقتَ أو كذبتَ. (إني فاهم): خبر، ولهذا يَصِحُّ أن يقال: صدقتَ أو كذبتَ[4].

وبيّن رحمه الله تعالى أركان جملة القَسَم وهي: القَسَم، والمُقسَمُ به، والمُقسَمُ عليه، والمُقسِم[5].

ويرى رحمه الله أنّ القَسَم لا يحسن إلا إذا كان المُقسَمُ عليه ذا أهمية، أو أن يكون المخاطَب متردِّداً، أو أن يكون المخاطَب منكراً[6].

وذكر ابن عثيمين أيضاً أنّ القَسَم من أساليب التوكيد القويّة، وهو موجود بكثرة في القرآن الكريم، ولا سيما في السور المكيّة، لأنه تعالى يخاطب قريشاً المُنكِرة، لذلك كثر القَسَم في السور المكية وقلّ في السور المدنية[7].

ويتنوع القَسَم بإعتبار الإظهار والإضمار إلى نوعين[8]:

1 – القَسَم الظاهر: وهو ما صرح فيه بالمقسَم به وقد يصرح فيه بفعل القَسَم، وقد لا يصرح بل يكتفي بأدوات القَسَم الدالة عليه وهي: الباء، والواو، والتاء، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: 1].

2 –القَسَم المضمر: وهو ما لم يصرح فيه بفعل القَسَم ولا بالمقسَم به، بل تدل عليه اللام المؤكدة الداخلة على جواب القَسَم، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: 4]، واللام هذه واقعة في جواب القَسَم المقدر، والتقدير: (والله لينبذن في الحطمة).

ونلاحظ أنّ القَسَم في القرآن الكريم ينقسم باعتبار المقسَم به على قسمين، هما[9]:

1 – القَسَم المفرد: وهو ما كان المقسَم به واحداً سواء أكان المقسَم عليه واحداً أم متعدداً، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر: 1].

2 – القَسَم المتعدد: وهو ما كان المقسَم به متعدداً سواء أكان المقسَم عليه واحداً أم متعدداً، ومنه:

أ. القَسَم بأمرين كقوله سبحانه:﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق: 1].

ب. القَسَم بثلاثة أمور ومنه قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[الليل: 1–3]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج: 1–3].

ت. القَسَم بأربعة أمور كقوله سبحانه: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: 1–3].

(1) ينظر: القول المفيد: 3/ 360.
(2) تينظر: تفسير سورة البقرة: 3/ 93، وتفسير جزء عم، 214.
(3) ينظر: تفسير سورة البقرة: 3/ 93.
(4) ينظر: شرح نظم الورقات: 63، وشرح البلاغة: 141.
(5) ينظر: تفسير جزء عم: 115.
(6) ينظر: شرح أصول في التفسير: 318.
(7) ينظر: شرح البلاغة: 77.
(8) ينظر: تفسير جزء عم: 124، 316، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين: 10/ 797. وينظر: مفاتيح التفسير: 2/ 672.
(9) ينظر: التناسب بين المقسَم به والمقسَم عليه وأثره في التفسير: 44، ومابعدها.

ث. القَسَم بخمسة أشياء ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: 1-4].

ج. ولم يقع القَسَم بأكثر من خمسة أشياء إلا في سورة واحدة، وهي سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: 1-8].

أمّا السور المفتتحة بالقَسَم في جزء عمّ فهي: سورة النازعات، وسورة البروج، وسورة الطارق، وسورة الفجر، وسورة الشمس، وسورة الليل، وسورة الضحى، وسورة التين، وسورة العاديات، وسورة العصر، وكذلك سورة البلد المبدوءة بـ ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾.

وذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أنه قد يشكل على بعض الناس كيف يقسم الله تعالى بالمخلوقات مع أنّ القَسَم بالمخلوقات شرك لقول النبي ﷺ: ((مَن حَلَفَ بغير الله فقد كَفَرَ أو أَشرَكَ))[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((مَن كان حَالِفاً فَلْيحلِف بالله أو لِيَصْمُتْ))[2].

فلا يجوز الحلف بغير الله عز وجل، أمّا قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: 1]، وقوله سبحانه: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: 1]، وقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: 1] فالجواب على ذلك من وجهين عند الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[3]:

الأول: أنّ هذا من فعل الله والله لا يسأل عما يفعل، وله أن يقسم سبحانه بما شاء من خلقه وهو سائل غير مسؤول وحاكم غير محكوم عليه.

الثاني: أنّ قَسَم الله بهذه الآيات دليل على عظمته وكمال قدرته وحكمته، فيكون القَسَم بها الدال على تعظيمها ورفع شأنها متضمناً للثناء على الله تعالى بما يقتضيه من الدلالة على عظمته.

ويجيب الشيخ ابن عثيمين أيضاً على هذا الإشكال قائلاً: ((إنّ الله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه، وإقسامه بما يقسم به من خلقه يدل على عظمة الله عز وجل؛ لأنّ عِظم المخلوق يدل على عِظم الخالق، وقد أقسم الله بأشياء كثيرة من خلقه))[4]، أمّا نحن فلا يجوز لنا أن نقسم بغير الله سبحانه؛ لأننا منهيون عن ذلك[5].

المبحث الثاني
مناسبة القَسَم وبلاغته في سورة الطارق

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 1-4].

ثم قال سبحانه في نفس السورة: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: 11-14].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (6072) بلفظ (وأَشرَكَ)، وأبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين بغير الله، (3251) من دون لفظ (كَفَرَ)، والترمذي، كتاب النذور والأيمان عن رسول الله ﷺ، باب ماجاء في كراهية الحَلِف بغير الله، (1535)، وقال: حديث حسن. وصحّحه الشيخ الألباني (ت1420هـ) رحمه الله.
وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((والظاهر أنّ صواب الحديث «أشرك»)). القول المفيد: 2/ 324.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب كيف يُستَحلَفُ؟، (2679)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحَلِف بغير الله تعالى، (1646).

(3) ينظر: القول المفيد: 2/ 325.

(4) تفسير جزء عم: 146.

(5) ينظر: القول المفيد: 2/ 326.

هذه السورة مكية، افتتحها الله عز وجل بالقَسَم بـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ تحقيقاً لما يقسم عليه وتشويقاً إليه، ووقع القَسَم بمخلوقَين عظيمين وفيهما دلالة على عظيم قدرة خالقهما، وهما: السماء، والنجوم، أو نجم منها عظيم معروف، فأقسَمَ تعالى بالسّماء وما جعل فيها من الكواكب النيّرة، لعظم أمرهما، وكبر خلقهما، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 75-76][1].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((ابتدأ الله عز وجل هذه السورة بالقَسَم، أقسَمَ الله تعالى بالسماء والطارق))[2].

ومقصود السورة القَسَم على حفظ أحوال الإنسان، وبيان حاله في الإبتداء والإنتهاء، وكشف الأسرار يوم الجزاء، والقَسَم على أنّ القرآن قول فصل[3].

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ هي المعروفة على ما عليه الجمهور. وقيل: أراد المطر، وهو أحد استعمالاتها، ومنه قول الشاعر[4]: [الوافر]

إذا نزل السماء بأرض قومٍ
رعيناه وإن كانوا غضاباً

فهو – على هذا – مجاز مرسل علاقته المجاورة من باب (تسمية الشيء باسم مجاوره)، واستبعد هذا القول ابن جُزي (ت741هـ)[5].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((هنا يقسم الله تعالى بالسماء، والسماء هو كل ما علاك، فكل ما علاك فهو سماء، حتى السحاب الذي ينزل منه المطر يسمى سماءً، كما قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17]، وإذا كان يطلق على كل ما علاك فإنه يشمل ما بين السماء والأرض ويشمل السماوات كلها لأنها كلها قد علتك وهي فوقك))[6].

قال ابن قتيبة (ت276هـ): ((العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسببٍ من الأخرى، أو مجاوراً لها... يقولون للمطر: سماءٌ؛ لأنه من السماء ينزل، فيقال: ما زلنا نطأُ السماء حتى أتيناكم))[7].

﴿وَٱلطَّارِقِ﴾: طرق يطرق طروقاً، وأصل الطرق في اللغة: الدق، ومنه المطرقة، وهو في الأصل اسم فاعل من الطرق بمعنى الضرب بوقع وشدّة يسمع لها صوت، ثم اختص بالآتي ليلاً؛ لأنه في الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها، ثم اتسع في كل ما يظهر بالليل كائناً ما كان، وسمي النجم طارقاً؛ لأنه إنّما يرى بالليل ويختفي بالنهار، وقد قال ﷺ: (إذا أطال أحدُكمُ الغَيْبَةَ، فلا يَطْرُقْ أهلَه ليلاً)[8]، أي: يأتيهم فجأة بالليل. وما أتاك بالليل فهو طارق، وعليه قول امرئ القيس[9]: [الطويل]

فمِثلُكِ حُبلى قد طَرَقْتُ ومرضعٌ
فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحولِ

(1) ينظر: التحرير والتنوير: 30/ 258، وأضواء البيان: 9/ 155، وما بعدها.
(2) تفسير جزء عم: 146.
(3) ينظر: بصائر ذوي التمييز: 1/ 512.
(4) البيت لمعاوية بن مالك المعروف بمُعَوِّد الحُكَماء(ت؟هـ). ينظر: ديوان المفضليات: 703.
(5) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 559، وروح المعاني: 30/ 387.
(6) تفسير جزء عم: 147
(7) تأويل مشكل القرآن: 172.
(8) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لا يَطْرُقُ أهلَه ليلاً إذا أطال الغَيْبَةَ مخافةَ أن يُخَوِّنَهم، أو يَلْتَمِسَ عَثَراتِهم، (5244)، ومسلم كتاب الإمارة، باب كراهية الطُّرُوق، وهو الدخول ليلاً، لمن ورد من سفر، (715).
(9) ديوان امرئ القيس: 113.

ثم بيّن سبحانه ما هو الطارق وفسّره، تفخيماً لشأنه بعد تعظيمه بالإقسام به فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾[1].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((وأمّا قوله: ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ فهو قَسَم ثان، أي أنّ الله أقسم بالطارق فما هو الطارق؟

ليس الطارق هو الذي يطرق أهله ليلاً بل فسّره الله عز وجل بقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ هذا هو الطارق، والنجم هنا يحتمل أن يكون المراد به جميع النجوم فتكون (ال) للجنس، ويحتمل أنه النجم الثاقب، أي: النجم اللامع، قوي اللمعان؛ لأنه يثقب الظلام بنوره، وأيّاً كان فإنّ هذه النجوم من آيات الله عز وجل الدالة على كمال قدرته، في سيرها وانتظامها، واختلاف أشكالها واختلاف منافعها أيضاً قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: 16]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الملك: 5]. فهي زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها))[2].

قال ابن عاشور (ت1394 هـ): ((أبهم الموصوف بالطارق ابتداء، ثم زيد إبهاماً مشوباً بتعظيم أمره بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ثم بُين بأنه ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ ليحصل من ذلك مزيد تقرر للمراد بالمقسم به وهو أنه من جنس النجوم شُبه طلوع النجم ليلاً بطروق المسافر الطارق بيتاً بجامع كونه ظهوراً في الليل.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ استفهام مستعمل في تعظيم الأمر))[3].

(1) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 254، وتفسير البحر المحيط: 8/ 447، والتبيان في أيمان القرآن: 157.
(2) تفسير جزء عم: 147.
(3) التحرير والتنوير:30/ 259.

و﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المضيء، أي يثقب الظلام بضوئه، ومنه قوله تعالى: ﴿شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [الصافات: 10]، والعرب تقول للموقِد: أثقِبْ نارك: أي أضِئها. وعليه فهو للجنس عامة، لأنّ النجوم كلها مضيئة. وقيل: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها عند استراق السمع، فيكون عاماً في كل نجم أيضاً. وقيل: هو مضيء ومحرق للشياطين. وقيل: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المتوهج[4].

واختلف في الطارق هل هو نجم معين أو هو جنس النجم؟

قال ابن قيم الجوزية: ((والمراد به الجنس لانجمٌ معيَّن، ومن عيَّنَهُ بأنَّه الثريا، أو زُحَل: فإن أراد التمثيل فصحيحٌ، وإن أراد التخصيص فلا دليل عليه. والمقصود أنّه سبحانه أقسَمَ بالسماء ونُجُومِها المضيئة، وكلٌّ منها آيةٌ من آياته الدّالّة على وحدانيته))[5].

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ وهذا هو جواب القَسَم، وما بينهما إعتراض، قيل: حافظ لأعماله يحصيها عليه. وقيل: حافظ، أي حارس، والسياق يشهد للمعنيين معاً. وقيل: الجواب هو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾[6].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((ثم بيّن الله المقسَم عليه بقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ ﴿إِن﴾ هنا نافية يعني ما كل نفس، ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى (إلا) يعني ما كل نفس إلا عليها حافظ من الله))[7].

(4) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 254، ومجاز القرآن: 2/ 294، وتفسير البحر المحيط: 8/ 448، وما بعدها، وفتح القدير: 5/ 527، وما بعدها.
(5) التبيان في أيمان القرآن: 157.
(6) ينظر: تفسير القرطبي: 10/ 263، والتسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 559، وأضواء البيان: 9/ 158.
(7) تفسير جزء عم: 147.

قال ابن قيم الجوزية: ((والمقسمُ عليه – ههنا– حالُ النفس الإنسانية، والاعتناءُ بها، وإقامةُ الحَفَظَةِ عليها، وأنها لم تُتْرَك سُدىً، بل قد أُرْصِدَ عليها من يحفظ عليها أعمالها ويحصيها، فأقسَمَ سبحانه أنه ما من نفسٍ إلا عليها حافظٌ من الملائكة، يحفظ عملَها وقولَها، ويحصي ما تكسب من خيرٍ أو شرٍّ))[1].

ثم أقسَمَ الله تعالى ثانياً فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ هي المظلة، أي: ذات المطر، لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، فترجع كل سنة بمطر بعد مطر، كذا قال عامّة المفسرين، وبه قال أهل اللغة. وقيل: هو السحاب فيه المطر. وقيل غير ذلك[2].

قال ابن قيم الجوزية: ((والتحقيقُ: أنّ هذا على وجه التمثيل، ورَجْعُ السماء: هو إعطاءُ الخير الذي يكون من جِهَتِها حالاً بعد حالٍ، على مرور الأزمان. تَرْجِعُهُ رَجْعاً، أي: تُعطيه مَرَّةً بعد مرَّةٍ. والخيرُ كلُّهُ من قِبَل السماء يجيءُ، ولّما كان أظهَرَ الخيرِ المشهودِ بالعيان المطرُ فُسِّرَ ﴿ٱلرَّجۡعِ﴾ به، وحَسَّنَ تفسيرَهُ به مقابلتُه بصَدْع الأرض عن النبات، وفُسِّرَ ﴿ٱلصَّدۡعِ﴾ بالنبات؛ لأنه يَصْدَعُ الأرضَ أي: يَشُقُّها.

فأقسَمَ سبحانه بالسماء ذات المطر، والأرض ذات النبات، وكلٌّ من ذلك آيةٌ من آيات الله تعالى الدَّالَّةِ على ربوبيته))[3].

و﴿ٱلصَّدۡعِ﴾: بمعنى الشّق؛ لأنه يصدع الأرض، فتنصدع به، وكأنّه قال: والأرض ذات النبات؛ لأنّ النبات صادع للأرض، فالمراد تشققها بالنبات المحاكي للنشور. فتتصدع الأرض بالنبات والثمار والشجر، وهذا يناسب قول من قال: الرجع: المطر. والحاصل أنّ الصدع إن كان إسماً للنبات فكأنّه قال: والأرض ذات النبات؛ وإن كان المراد به الشق، فكأنّه قال: والأرض ذات الشّق الذي يخرج منه النبات ونحوه[4].

وجواب القَسَم هنا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للقرآن؛ لأنّ سياق الكلام يقتضيه وهو أولى من جعل الضمير راجعاً لما تقدّم من الكلام، وقوله تعالى: ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ أنسب به، والمراد لقول فاصل بين الحق والباطل قد بلغ الغاية في ذلك حتى كأنّه نفس الفصل، وهو حق وحكم عدل[5].

قال الشيخ ابن عثيمين في بيان تناسب القَسَم للمقسم عليه في هذه السورة: ((بعد أن ذكر الله تعالى الإقسام ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ إلى آخره ... إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ هذا هو القَسَم الثاني للسماء، والقَسَم الأول ما كان في أول السورة، فهناك قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ وهنا قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾.

والمناسبة بين القسمين – والله أعلم– أنّ الأول فيه إشارة إلى الطارق الذي هو النجم، والنجم تُرمى به الشياطين الذين يسترقون السمع، وفي رمي الشياطين بذلك حفظ لكتاب الله عز وجل، أمّا هنا فأقسَم بالسماء ذات الرجع أنّ هذا القرآن

(1) التبيان في أيمان القرآن: 158 – 159.
(2) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 253، وتفسير غريب القرآن: 523، وتفسير الطبري: 30/ 157، وتفسير البحر المحيط: 8/ 451، وتفسير ابن كثير: 4/ 643.
(3) التبيان في أيمان القرآن: 171–172.
(4) ينظر: تفسير غريب القرآن: 523، وتفسير الطبري: 30/ 158، وروح المعاني: 30/ 394 .
(5) ينظر: تفسير القرطبي: 10/ 269، والتسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 561، وتفسير البحر المحيط: 8/ 451، وتفسير ابن كثير: 4/ 643.

قول فصل، فأقسم على أنّ القرآن قول فصل، فصار القَسَم الأول مناسبته أنّ فيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القَسَم الثاني الإشارة إلى أنّ القرآن حياة، يعني يقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ الرجع هو المطر، يسمى رجعاً لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أنّ المطر به حياة الأرض.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ الصدع هو الإنشقاق يعني التشقق بخروج النبات منه، فأقسم بالمطر الذي هو سبب خروج النبات، وبالتشقق الذي يخرج منه النبات، وكله إشارة إلى حياة الأرض بعد موتها، والقرآن به حياة القلوب بعد موتها، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: 52]. فسمّى الله القرآن روحاً لأنه تحيى به القلوب))[1].

وفي هذا النص فهم دقيق للمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فرحم الله الشيخ ابن عثيمين الذي فطن لمثل هذا التناسب اللطيف والتناسق البديع بين آيات الكتاب الحكيم.

قال الدكتور عبد العظيم المطعني (ت1429هـ): ((ونكتفي في سره البلاغي ببيان تناسب المقسم به للمقسم عليه. فالمقسم به هو: الطارق، الذي فسّره النظم بأنه النجم الثاقب. والمقسم عليه هو الحفظ كما تقدّم، والمناسبة بين النجم والحفظ في نظم القرآن ظاهرة جلية. فقد ورد في سورة فصلت [12]: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗا﴾ كما جعلت الشهب وهي نجوم، رجوماً للشياطين لحفظ أسرار السماء))[2].

فلمّا ذكر سبحانه القَسَم بالسماء أقسَمَ بعدها بالنجم ومناسبة ذكر النجم بعد السماء واضحة، فالنجوم في السماء وهي زينتها جعلها الله رجوماً للشياطين وعلامات يُهتدى بها في البر والبحر، وقابَلَ وناسَبَ بين حِفظ السماء من الشياطين، وحِفظ النفس البشرية منهم، ومن ثَمَّ تتجلى مناسبة المقسم به للمقسم عليه.

وكذالك تجد المناسبة بين السماء والأرض، وكذا المناسبة بين الرجع (المطر) والصدع (النبات)، فبالمطر تحيا الأرض، وتشاهد في ذلك جمال الطباق بين السماء والأرض وجمال المناسبة والعلاقة بينها وبين المطر والنبات.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: 11-12]، قَسَمٌ ثانٍ قد أقسم الله تعالى به على صحة القرآن وصدقه وأنه حق بيِّنٌ واضح، أقسم على ذلك بالسماء التي يرجع منها المطر ويتكرر مرة بعد مرة، وأقسم بالأرض التي تتشقق فيخرج منها النبات فيأكل منه الناس والبهائم، أنّ هذا القرآن هو القول الفصل الذي يفصل الله به بين الحق والباطل[3].

قال الرازي (ت604هـ) في تفسيره: ((فالسماء ذات الرجع كالأب، والأرض ذات الصدع كالأم وكلاهما من النعم العظام؛ لأنّ نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكرراً، وعلى ما ينبت من الأرض كذلك))[4].

وقال ابن عاشور: ((وافتتح الكلام بالقَسَم تحقيقاً لصدق القرآن في الإخبار بالبعث وفي غير ذلك مما اشتمل عليه من الهدى. ولذلك أعيد القَسَم بـ(السماء) كما أقسم بها في أول السورة، وذكر من أحوال السماء ماله مناسبة بالمقسم عليه، وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإنّ إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر.

وفي الحديث: (مَثَلُ ما بَعثني اللهُ به من الهُدى

(1) تفسير جزء عم: 150-151.
(2) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: 4/ 355.
(3) ينظر: التفسير اليسير: 74.
(4) التفسير الكبير: 16/ 121.

والعِلم، كَمَثَل الغيث الكثير أصابَ أرضاً) الحديث[1].

وفي اسم الرجع مناسبة لمعنى البعث في قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ وفيه محسن الجناس التام وفي مسمى الرجع وهو المطر المعاقب لمطر آخر مناسبة لمعنى الرجع البعث فإن البعث حياة معاقبة بحياة سابقة.

وعطف (الأرض) في القَسَم لأنّ بذكر الأرض إتمام المناسبة بين المقسم والمقسم عليه كما علمت من المثل الذي في الحديث.

والصدع: الشق، وهو مصدر بمعنى المفعول أي المصدوع عنه، وهو النبات الذي يخرج من شقوق الأرض **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾[2]، ولأنّ في هذين الحالين إيماء إلى دليل آخر من دلائل إحياء الناس للبعث فكان في هذا القَسَم دليلان))[3].

وفي ﴿ٱلرَّجْعِ﴾، و﴿ٱلصَّدْعِ﴾ السجع الرصين غير المتكلّف الذي يزيد في جمال الأسلوب ورشاقته ونضارته[4].

فأقسم الله على أنّ القرآن حق وصدق وأنه يفصل بين الحق والباطل، والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه أنّ ماء السماء تكون به حياة الأرض، وكذلك كتاب الله تعالى تكون به حياة القلوب فتحيا به القلوب الميتة كما تحيا بالماء الأرض الميتة؛ فهو كتاب هداية، فكما أنّ المطر به حياة الأرض وتشققها بالنبات فإنّ القرآن الكريم به حياة الناس وهدايتهم، وهكذا تكون الأرض ميتة ثم يحييها الله تعالى بالمطر وهذا مثال حي على قدرته سبحانه على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم[5].

وإذا ربطنا بين القَسَم والمقسم عليه فنقول: إنّ رجع الماء بعد فنائه بتلقيح السحاب من جديد يعادل رجع الإنسان بعد فنائه في الأرض، وتشقق الأرض عن النبات يناسب تشققها يوم البعث عن الخلائق، فناسب أن يكون الإقسام على تحقق البعث، والله أعلم[6].

فبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى، وهو دليل واضح على على إعجاز كتاب الله تعالى، وبلوغه الغاية في البلاغة والبيان، وهذا من لطائف القَسَم في هذا الجزء المبارك (جزء عمّ).

المبحث الثالث

مناسبة القَسَم وبلاغته في سورة الليل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 1–10].

هذه السورة مكية عند الجمهور، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي يغطي، ولم يذكر معه مفعولاً للعلم به، أي يغطي الشمس. وقيل: يغشى النهار. وقيل: الأرض. وقيل: الخلائق. وقيل: يغشى بظلمته

(1) رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعَلَّمَ، (79)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب بيانُ مَثَلِ ما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، (2282).
(2) سورة عبس، الآيات: 25–29.
(3) التحرير والتنوير: 30/ 266.
(4) ينظر: صفوة التفاسير: 3/ 547.
(5) ينظر: أساليب القَسَم في اللغة العربية: 448، والتناسب بين المقسَم به والمقسَم عليه وأثره في التفسير: 307.
(6) ينظر: تفسير البحر المحيط: 8/ 450، وما بعدها، وأضواء البيان: 9/ 164.

كل ما بين السماء والأرض[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((والليل إذا يغشى: أقسم الله سبحانه وتعالى بالليل إذا يغشى يعني حين يغشى الأرض ويغطيها بظلامه؛ لأنّ الغشاء بمعنى الغطاء))[2].

وأتى به بصيغة المضارع؛ لأنه يغشى شيئاً بعد شيء، وأمّا (النهار) فإنه إذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وَهْلَةً واحدةً، ولهذا قال في سورة الشمس: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس: 3 – 4][3].

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي إذا انكشف ووضح وظهر بضيائه وإشراقه، وبان بضوئه عن ظلمة الليل، فيقسم الله بالليل والنهار وأثرهما على الكون، على أنّهما آيتان عظيمتان[4].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((أي: إذا ظهر وبان، وذلك بطلوع الفجر الذي هو النور الذي هو مقدّمة طلوع الشمس، والشمس هي آية النهار كما أنّ القمر آية الليل))[5].

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: معناه والذي خلق الذكر والأنثى، فيكون قد أقسم بنفسه عز وجل، وعبر عن من بما للدلالة على الوصفية ولقصد التفخيم: أي والقادر العظيم الذي خلق صنفي الذّكر والأنثى. وقيل: معناه وخلق الذكر والأنثى، فتكون ﴿ مَا ﴾ مصدرية، فيكون القَسَم بصفة من صفات الله وهي صفة الخلق، ويكون خص الذّكر والأنثى لِما فيهما من بديع صنع الله وقوة قدرته سبحانه[6].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((يعني وخَلْق الذكر والأنثى على أحد التفسيرين الذي جعل (ما) هنا مصدرية، والذي خَلَق الذكر والأنثى وهو الله عز وجل على التفسير الآخر. فعلى المعنى الأول: يكون الله سبحانه وتعالى أقسم بخلق الذكر والأنثى. وعلى الثاني: يكون الله تعالى أقسم بنفسه؛ لأنه هو الذي خلق الذكر والأنثى))[7].

وورد اقتران الذكَر بالأنثى في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة، تقدّم فيها لفظ الذكَر على الأنثى إلا في موضع واحد[8]، ولعل سبب التقديم أنّ الذكَر أفضل من الأنثى، وكذلك نصيبه ضعف نصيب الأنثى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة: 228]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: 34]، وآدم قبل حواء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [النساء: 1]، والله أعلم[9].

وقرأ عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء رضي الله عنهما: (والذكر والأنثى). وعلى هذه القراءة: يكون القَسَم بالمخلوق كالليل والنّهار، لِما في الخلق من قدرة الخالق، أمّا الجمهور فقرؤوا ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ

(1) ينظر: تفسير الطبري: 30/ 236، وإعراب القرآن: 3/ 498، والتسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 579، وتفسير ابن كثير: 4/ 669، وتيسير الكريم الرحمن: 1093.
(2) تفسير جزء عم: 226.
(3) ينظر: التبيان في أيمان القرآن: 86.
(4) ينظر: تفسير القرطبي: 10/ 326، وتفسير ابن كثير: 4/ 669، وأضواء البيان: 9/ 253.
(5) تفسير جزء عم: 226.
(6) ينظر: مجاز القرآن: 2/ 301، والتسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 579، وتفسير البحر المحيط: 8/ 477، وأضواء البيان: 9/ 254.
(7) تفسير جزء عم: 226.
(8) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 337، وما بعدها.
(9) ينظر: التفسير الكبير: 6/ 82، و10/ 71، وما بعدها، والإعجاز البياني في ثُنائيّات القرآن الكريم في ضوء علم المناسبة: 136، وما بعدها.

﴿وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[1].

وفي المراد بالذّكر والأنثى هنا قولان[2]:

الأول: آدم وحوّاء.

والثاني: جميع الذكور والإناث من بني آدم والبهائم. وقيل: من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته. والظاهر العموم، والله أعلم.

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القَسَم، وهو القَسَم على أحوال الإنسان، والمعنى: إنّ عملكم لمختلف، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها، كما جاء في الحديث: (كلُّ الناس يَغدُو فبايعٌ نفسَهُ فمُعْتِقُها أو مُوبِقُها)[3]، أي إنّ عملكم لمتباعد بعضه من بعض؛ لأنّ بعضه ضلالة وبعضه هدى، فمنكم مؤمن وبر، وكافر وفاجر، ومطيع وعاص. وقيل: ﴿لَشَتَّىٰ﴾ أي لمختلف الجزاء، فمنكم مثاب بالجنة، ومعاقب بالنار. وقيل: لمختلف الأخلاق، فمنكم راحم وقاس، وجواد وبخيل، وشبه ذلك، ثم فصّل هذا الشتات في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ...﴾ [الليل: 5 – 10][4].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((يعني إنّ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾ أي لمتفرق تفرقاً عظيماً))[5].

ثم قال الشيخ ابن عثيمين مُبيّناً مناسبة المقسم به للمقسم عليه في تفسير سورة الليل: ((فالله عز وجل أقسَمَ بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد صالح وسيء، فتناسب المقسم به والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن. فالمعنى أنّ اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى أمر ظاهر لا يخفى، فكذلك أعمال العباد متباينة متفاوتة، منها الصالح، ومنها الفاسد، ومنها ما يخلط صالحاً وفاسداً، كل ذلك بتقدير الله عز وجل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ثم فصّل هذا السعي المتفرق فقال: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ ...))[6].

وهذا هو قول ابن كثير (ت774هـ) في تفسيره حيث قال: ((ولمّا كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً))[7].

وذكر ابن عاشور هنا أنّ ((مناسبة المُقسَم به للمُقسَم عليه أنّ سعي الناس منه خير ومنه شر وهما يماثلان النور والظلمة، وأنّ سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع ومنها الضار كما ينتج الذكر والأنثى ذرية صالحة وغير صالحة ... واختير القسم بالليل والنهار لمناسبتة للمقام؛ لأنّ غرض السورة بيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة))[8].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب التفسير سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، باب ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: 3]، (4944)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات، (824).
وينظر: معجم القراءات القرآنية: 8/ 168.

(2) ينظر: تفسير القرطبي: 10/ 326، وما بعدها، وفتح القدير: 5/ 572، والتحرير والتنوير: 30/ 379.

(3) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضلُ الوضوء، (223).

(4) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 270، وتفسير القرطبي: 10/ 327، وتفسير البحر المحيط: 8/ 478، والتبيان في أيمان القرآن: 10، وأضواء البيان: 9/ 258.

(5) تفسير جزء عم: 226.

(6) المصدر نفسه: 226–227.

(7) تفسير ابن كثير: 4/ 669.

(8) التحرير والتنوير: 30/ 378.

((وعاد في آخر السورة وذكر الأتقى والشقي، وهي من أبرز صور اختلاف وتباين سعي الناس))[1].

فمن لطائف القَسَم بالليل والنهار وهما ضدان: الإشارة إلى تضاد الذكر والأنثى، والحسن والسوء، والعسر واليسر، والتصديق والتكذيب، وهذا محتوى هذه السورة[2].

فترى المناسبة بين هذه الألفاظ: الليل والنهار، وهي مناسبة ضدية فيها المحسّن البديعي: الطباق، فالليل ضد النهار، وهما ظرفا الزمن وفيهما يقع سعي الناس من الطاعات والمعاصي والحركة والسكون، فلما أقسَمَ الله بالليل أقسَمَ بعده بالنهار ولمّا ذكر أنّ الليل ﴿يَغْشَىٰ﴾ ذكر في النهار أنه ﴿تَجَلَّىٰ﴾، وفي ذلك جمال المقابلة بين الليل والنهار و﴿يَغْشَىٰ﴾ و﴿تَجَلَّىٰ﴾ وهذا من المناسبات البديعة.

وارتبط الليل و النهار بآيتين هما: الشمس والقمر، فالشمس ينبعث منها ضوء النهار وغيابها يؤدي إلى ظهور القمر، ومن هنا ناسب القرآن آية الليل والنهار بآية الشمس والقمر لذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5][3].

فإن قلت: لماذا قدّم القسَمَ بـ(الليل) في هذه السورة وقدّم القَسَم بـ(النهار) في سورة الضحى وفي سورة الشمس؟.

قلت: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ هل المراد به أول النهار أو يراد النهار كله؟.

ويظهر – والله أعلم – أنّ المراد به أول النهار وفيه النور بعد الإستيحاش في زمن الليل، يقابل هذا النشاط والحركة سكون الليل وهدوئه، وفي ذلك بشارة بظهور نور الوحي بعد الإحتباس كما يأتي الضحى بنوره وضيائه من بعد ظلمة الليل، وهذا تمثيل في غاية البلاغة، وهو من روائع القَسَم ولطائفه في كتاب الله تعالى[4].

قال ابن قيم الجوزية متحدثاً عن القَسَم في سورة الضحى: ((وأقسَمَ بآيتين عظيمتين من آياته، دالتين على ربوبيته، وحكمته، ورحمته، وهما الليل والنهار. فتأمل مطابقة هذا القَسَم، وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: (ودع محمداً ربُّهُ)[5] فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه، وأيضاً، فإنّ الذي فلق ظلمة الليل عن ضوء النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، فهذان للحس، وهذان للعقل، وأيضاً، فإنّ الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، لا يلق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالحهم ودنياهم وآخرتهم. فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه، وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ، والجلالة التي على معانيها))[6].

---

(1) علم المناسبات في السور والآيات: 184. وينظر: نظم الدرر: 8/ 447.

(2) ينظر: نهر الخير: 5/ 581.

(3) ينظر: الإعجاز البياني في ثنائيات القرآن الكريم في ضوء علم المناسبة : 160، وما بعدها.

(4) ينظر: التفسير الكبير: 16/ 189، وتناسق الدرر في تناسب السور: 138، وأضواء البيان: 9/ 73، 274، وأسلوب القَسَم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية: 1/ 107.

(5) ينظر: تفسير الطبري: 30/ 250، وما بعدها.

(6) التبيان في أيمان القرآن: 110–111.

((فأي عجب في أن يجيء، بعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى ﷺ، فترة سكون يفتر فيها الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق))[1].

وقال ابن عاشور متحدثاً عن القَسَم في سورة الليل: ((وابتدىء في هذه السورة بذكر الليل ثم النهار عكس ما في سورة الشمس[2]؛ لأنّ هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس بمدة وهي سادسة السور وأيامئذٍ كان الكفر مخيماً على الناس إلا نفراً قليلاً وكان الإسلام قد أخذ في التجلي فناسب تلك الحالة بالإشارة إلى تمثيلها بحالة الليل حين يعقبة ظهور النهار))[3].

ولأنّ المقسَم عليه في سورة الليل هو سعي الإنسان ولايخلو من المعاصي ووحشتها وظلمتها، فناسب أن يقدّم الليل لظلمته ووحشته، أمّا في سورة الضحى فالمقسَم عليه هو نور الوحي وفي الوحي من النور والهدى ماهو معلوم، فناسب أن يقدّم الضحى لنوره وأُنسه، والله أعلم.

وبعد، ((فقد أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة على أنّ أعمالَ الناس مختلفةٌ: بعضُها هُدىً، وبعضُها ضلالٌ، كما أنّ أحوالَ الليلِ والنهار والمخلوقات مختلفةٌ))[4].

المبحث الرابع

مناسبة القَسَم وبلاغته في سورة البروج

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: 1-4]. ثم ختم الله تعالى السورة بقوله سبحانه: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: 21-22].

هذه السورة سورة مكية، وفيها عظة لقريش الذين عذبوا المؤمنين بأنواع من الأذى، وفيها تثبيت لمن يعذب من المؤمنين[5].

و((في افتتاح السورة بهذا القَسَم تشويق إلى مايرد بعده وإشعار بأهمية المقسم عليه، وهو مع ذلك يَلفت ألبابَ السامعين إلى الأمور المقسم بها؛ لأنّ بعضها من دلائل عظيم القدرة الإلهية المقتضية تفرد الله تعالى بالإلهية وإبطال الشريك))[6].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((الواو هذه حرف قَسَم يعني يقسم تعالى بالسماء ﴿ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ أي صاحبة البروج، والبروج جمع برج، وهو المجموعة العظيمة من النجوم وسميت بروجاً لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها))[7].

والبروج جمع برج، ولهذه المادة (الباء والراء والجيم) أصلان: أحدهما البُروز والظُهور، سميت بذلك لظهورها، ومنه تبرّج المرأة وهو إظهارها مَحاسِنَها، والآخر الوَزَرُ والملجأ، البُرْجُ واحد بُرُوج السماء، وأصل البُرُوج الحُصُونُ والقُصور، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النساء: 78][8].

---

(1) التفسير البياني للقرآن الكريم: 1/ 26. وينظر: المصدر نفسه: 1/ 36.

(2) **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس: 1-4].

(3) التحرير والتنوير: 30 / 378-379.

(4) صفوة البيان لمعاني القرآن: 809.

(5) ينظر: تفسير البحر المحيط: 8/ 442، وما بعدها.

(6) التحرير والتنوير: 30/ 237.

(7) تفسير جزء عم: 124.

(8) ينظر: مقاييس اللغة: 1/ 125، (برج).

وفي المراد بـ ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾ في هذه السورة (سورة البروج) أقوال[1]:

أ. هي النجوم.

ب. هي قصور في السماء.

ج. ذات الخَلْق الحسَن.

د. منازل الشمس والقمر.

واختار ابن جرير الطبري (ت310هـ) أنّها: منازل الشمس والقمر[2].

قلت: يقسم الله تعالى بالسماء وبروجها، وهي النجوم العظام، لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: 61]، وهي من أعظم آياته سبحانه، فلهذا أقسم بها مع السماء، والمقصود أنّ الله عز وجل أقسَمَ بالسماء ونجومها المضيئة[3]، والله أعلم.

وجواب القَسَم محذوف، أي والسماء ذات البروج لتُبْعَثُن. وقيل: جواب القَسَم ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ أي لُعن، واللام فيه مضمرة أي (لقُتِلَ). وقيل تقديره: لقد قُتِلَ، فحذفت اللام وقد، وعلى هذا تكون الجملة خبرية، والظاهر أنّها دعائية؛ لأنّ معنى قُتِلَ لُعِنَ، والدعائية لا تكون جواباً للقَسَم، فقيل الجواب قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: 10]. وقيل: قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: 12] واعترض عليه بطول الفصل. وقيل: هو مقدّر يدل عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، والأخدود: هو الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، وجمعه أخاديد[4].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((﴿قُتِلَ﴾ يعني أهلك، وقيل: القتل هنا بمعنى اللعن، وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله))[5].

قال ابن قيم الجوزية: ((والأحسن أن يكون هذا القَسَم مستغنياً عن الجواب؛ لأنّ القَصْدَ التنبيهُ على المُقْسَم به، وأنه من آيات الربّ العظيمة. ويَبْعُدُ أن يكون الجوابُ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾؛ لأنّ ذلك دعاءٌ وطلبٌ))[6].

وهذا اختيار الفراء (ت207هـ) وابن جرير الطبري[7].

نعم قد يُحذف جواب القَسَم ولايراد ذكره؛ لأنّ المراد تعظيم المقسَم به، وقد يكون الجواب مراداً لكنه حُذف لكونه قد ظهر وعُرف بدلالة الحال أو السياق، وأكثر ما يكون هذا إذا كان في المقسَم به ما يدل على المقسم عليه؛ لأنّ المقصود يحصل بذكر المقسَم به، فيكون حذف المقسَم عليه أبلغ وأوجز، والله أعلم[8].

ثم ختم الله عز وجل هذه السورة بقوله سبحانه في وصف كلامه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: 21-22].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي

(1) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 252، ومجاز القرآن: 2/ 293، وتفسير الطبري: 30/ 135، وما بعدها، وتفسير القرطبي: 10/ 235، والتبيان في أيمان القرآن: 139.

(2) ينظر: تفسير الطبري: 30/ 136.

(3) ينظر: التبيان في أيمان القرآن: 139، وتفسير ابن كثير: 4/ 633.

(4) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 253، ومعاني القرآن، للأخفش: 2/ 575، وتفسير القرطبي: 10/ 237، وما بعدها، والتسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 556، وما بعدها، وتفسير البحر المحيط: 8/ 443، والتحرير والتنوير: 30/ 237، 241.

(5) تفسير جزء عم: 125.

(6) التبيان في أيمان القرآن: 143.

(7) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 253، وتفسير الطبري: 30/ 144.

(8) ينظر: التبيان في أيمان القرآن: 752.

ما جاء به الرسول عليه الصلاة و السلام ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي ذو عظمة ومجد، ووصف القرآن بأنه مجيد لا يعني أنّ المجد وصف للقرآن نفسه فقط، بل هو وصف للقرآن، ولمن تحمل هذا القرآن فحمله وقام بواجبه من تلاوته حق تلاوته، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة.

وقوله تعالى: ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ يعني بذلك اللوح المحفوظ عند الله عز وجل الذي هو أمّ الكتاب كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 39]. وهذا اللوح كتب الله به مقادير كل شيء، ومن جملة ما كتب به أنّ هذا القرآن سينزل على محمد ﷺ فهو في لوح محفوظ؛ قال العلماء: ﴿ مَّحْفُوظٍ ﴾ لا يناله أحد، محفوظ عن التغيير والتبديل، والتبديل والتغيير إنما يكون في الكتب الأخرى؛ لأنّ الكتابة من الله عز وجل أنواع:

النوع الاول: الكتابة في اللوح المحفوظ وهذه الكتابة لا تبدل ولا تغيير، ولهذا سماه الله لوحاً محفوظاً، لا يمكن أن يبدل أو يغير ما فيه))[1].

والمجد في لغة العرب: كثرة أوصاف الكمال، وكثرة أفعال الخير[2].

وكثرة خير القرآن لايعلمها إلا من تكلّم به وكلامه أحقُّ بالمجد من كلّ كلام، كما أنّ المتكلم به له المجد كلُّه، فهو المجيد، وكلامُه مجيدٌ، وعرشه مجيدٌ[3].

فهو كتاب عظيم كريم متناهٍ في الشرف والكرم والبركة، شرّفه الله على سائر الكتب بإعجازه ونظمه، وصحة معانيه، وإخباره بالمغيبات، وغير ذلك من محاسن هذا الكتاب المجيد، وهو مكتوب في لوح محفوظ عند الله في الملأ الأعلى، محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل[4].

وقرأ الجمهور ﴿ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ موصوف وصفة، على أنّه نعت للقرآن، ﴿ مَّحْفُوظٍ ﴾ بالخفض صفة لـ (اللوح) وهو الذي فيه جميع الأشياء[5].

ومضمون قصة أصحاب الأخدود: أنّ ناساً من الكفار خدّوا أخدوداً في الأرض، وسجّروه ناراً، وعرضوا المؤمنين عليها، فمن رجع عن دينه تركوه، ومن أصرّ على الإيمان أحرقوه[6].

قال الشيخ ابن عثيمين: ((و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ هم قوم كفار أحرقوا المومنين بالنار، وقد وردت قصص متعددة في هؤلاء القوم منها شيء في الشام، ومنها شيء في اليمن، والمقصود أنّ هؤلاء الكفار حاولوا بالمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم، ولكنهم عجزوا فحفروا أخدوداً حُفراً محدودة في الأرض كالنهر وجمعوا الحطب الكثير وأحرقوا المومنين بها))[7].

وقد ألمح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى إلى المناسبة بين فاتحة هذه السورة وخاتمتها فقال في آخر تفسير سورة البروج: ((وإلى هنا ينتهي الكلام على هذه السورة العظيمة التي ابتدأها الله تعالى بالقَسَم بالسماء ذات البروج وأنهاها بقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ فمن تمسك بهذا القرآن العظيم فله المجد والعزة والكرامة والرفعة))[8].

(1) تفسير جزء عم: 142-143.
(2) ينظر: تهذيب اللغة: 8/ 290، (مجد)، واشتقاق أسماء الله: 152، والتبيان في أيمان القرآن: 147، 155.
(3) ينظر: التبيان في أيمان القرآن: 155.
(4) ينظر: تفسير القرطبي: 10/ 246، والتبيان في أيمان القرآن: 155، وتفسير ابن كثير: 4/ 640، وفتح القدير: 5/ 522.
(5) ينظر: معاني القرآن، للفراء: 3/ 254، وتفسير البحر المحيط: 8/ 446، والتبيان في أيمان القرآن: 155، ومعجم القراءات القرآنية: 8/ 109.
(6) ينظر: تفسير البحر المحيط: 8/ 443.
(7) تفسير جزء عم: 125-126.
(8) المصدر نفسه: 144.

ولهذا ينصح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله الأمة الإسلامية أن يتمسكوا بهذا القرآن العظيم إذ به تحصل لهم العزة والمجد والرفعة، وأن لا يتركوا مابه عزهم وكرامتهم وهو التمسك بهذا القرآن الكريم[1].

وأشار ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) إلى حسن الخاتمة في هذه السورة وهو أن يختم المتكلّم كلامه بأحسن خاتمة؛ لأنها آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظت من دون سائر الكلام، ولذلك يجتهد في جزالتها ورشاقتها ونضجها[2].

وجميع خواتم السور القرآنية في غاية الحسن، ونهاية الكمال التي لايبقى للنفوس بعدها تشوُّف إلى ما يقال، ومن ذلك ما جاء في خاتمة سورة البروج وهو تمجيد القرآن والإخبار بأنه محفوظ[3].

إنّ فواتح سور القرآن بلغت أعلى درجات البلاغة، وجاءت خاتمة كل سورة في غاية التلاؤم والتناسب، فجاءت خواتم سورة البروج مثل فواتحها في الحسن، إذ تضمنت المعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر بعد[4]؛ لذا عدّ العلماء المناسبة بين فواتح السور وخواتمها من أسرار القرآن العظيم[5].

أمّا السيوطي (ت911هـ) فقد أشار للمناسبة هنا بقوله: ((بدئت[6] بذكر السماء ذات البروج، وختمت بلوح محفوظ، وكلاهما من عالم الملكوت))[7].

فأول هذه السورة وآخرها متناسبان حيث قال في أولها: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾، وقال في آخرها: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾، فالنجوم تحفظ السماء وهي رجوم للشياطين وعلامات يهتدى بها، وكذلك كتاب الله يُهتدى به وقد حفظه الله فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وقال تعالى: ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ فالمناسبة بين القَسَم بالسماء ونجومها وبين ختم السورة بقوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ مناسبة بديعة رائعة تتناسب مع موضوع القَسَم في أول السورة.

فمن كمال التناسب أن تتلائم خاتمة السورة مع فاتحتها، فتجتمع أطراف السورة وينظم بعضها إلى بعض، وهو فن لطيف من علم المناسبات يتبين به إحكام القرآن الحكيم وارتباط آياته ببعضها[8].

وبعد، فإنك تدرك في هذا البحث وجهاً بلاغياً من أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ألا وهو الصلة والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه[9]، وهو من لطائف القَسَم في القرآن الكريم وروائعه وبلاغته وحسن صياغته وإعجازه.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 145.
(2) ينظر: بديع القرآن: 439.
(3) ينظر: بديع القرآن: 442، 448.
(4) ينظر: جماليات السياق القرآني و تجلّياته في الدرس البلاغي: 119.
(5) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 38، وفواتح سور القرآن: 214.
(6) أي سورة البروج.
(7) مراصد المَطالع في تَناسُب المقاطِع والمَطالِع: 176.
(8) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه: 67، والمناسبات القرآنية عند الرازي: 349.
(9) ينظر: أضواء البيان: 9/ 258، ودراسات في علوم القرآن الكريم: 428.

الخاتمة
وأهم التوصيات

جاءت هذه الدراسة لتبرز مناسبة المقَسَم به للمقسَم عليه وبلاغته ولطائفه في تفسير جزء عمّ للعالم الرباني الشيخ العلّامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى، وتأتي الخاتمة أخيراً لتقف على أهم نتائج البحث، فضلاً عن أهم التوصيات.

أهم النتائج:

إنّ من سمات القَسَم في العهد المكي أنّ الله تعالى لفت النظر إلى آياته وكمال قدرته وبديع صنعه، فأقسم الله تبارك وتعالى بما هو محسوس ومدرك لا مجال للمماراة فيه؛ فجاء القَسَم لكمال الحجة وتوكيدها، فقد تباينت مواقف الناس عند نزول القرآن الكريم، فمنهم المصدّق، ومنهم الشاك المتردد، ومنهم المنكر المكذّب، والقَسَم أقوى أساليب التوكيد، فمن كان مصدِّقاً زاده القَسَم يقيناً، ومن كان شاكاً أزال عنه الشك، ومن كان مكذّباً أقام الحجة والبرهان عليه؛ لذلك كثر القَسَم في الآيات المكية صريحاً؛ لكثرة المنكرين وعنادهم فاحتاج خطابهم إلى التوكيد، وكذلك فإنّ القَسَم أسلوب من أساليب العرب في كلامها يؤتى به للتوكيد وإن كان الأمر معلوماً عند الجميع والقرآن نزل بلسان عربي مبين.

لا يُقسِمُ الله تعالى بشيء إلا وله شأن عظيم إمّا في ذاته، وإمّا لكونه من آياته، فيقسمُ سبحانه ببعض المخلوقات لِما في ذلك من الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرته، أو يُقسِمُ بها لبيان شرف المقسَم به، وبيان عظمته وعلوّ شأنه، فيقسم سبحانه من كل جنس بأشرفه وأعلاه.

وقوع المناسبات في القرآن الكريم خلافاً لمن أنكرها، فكتاب الله تعالى كما أنه معجز بفصاحة ألفاظه، فهو أيضاً معجز بترتيبه ونظم آياته، وهو علم جليل يبرز كثيراً من روائع القرآن الكريم وبلاغته ووجوه إعجازه، ولّما كان الأمر كذلك أولاه الشيخ ابن عثيمين أهمية وعناية كبيرة، وقد أشار إلى الصلة القوية، والتناسب الوثيق، والمناسبة الظاهرة بين المقسم به والمقسم عليه.

الوقوف على نوع آخر من أنواع المناسبات وهو المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم وبيان لطائفها وبلاغتها في جزء عمّ، ولم يغفلها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في دروسه التي كانت تجمع بين العامّة والخاصّة، وهذه الدراسة قد أسهمت في إبراز هذا الجانب المميز عنده في تفسيره لجزء عمّ، فقد كان رحمه الله يتمتع بحس بلاغي واضح في فهم آيات الكتاب الكريم واستخراج لطائفها البيانية وأسرارها البلاغية، بعبارة واضحة، وفهم دقيق، وأسلوب لطيف.

كلُّ قسم في كتاب الله تعالى لابدّ أن يكون بينه وبين المقسَم عليه مناسبة، قد تكون ظاهرة، وقد تكون خفية، فلا يقسم سبحانه بشيء في موضع دون غيره إلا لغرض يتعلق بهذا الموضع، وهذا من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

أبدع الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وأجاد في إيجاد التناسب والإرتباط الواقع بين المقسَم به والمقسَم عليه، فشحذ الأذهان لتتبع أقسام القرآن، وهذا الإرتباط والتناسب من أهم ما يميز القَسَم القرآني، ومن أعظم وجوه الإعجاز فيه، ولعلّ ابن قيم الجوزية أول من وضع أو توسّع في معالم هذا الوجه البلاغي والإعجازي في كتابه القيّم (التبيان في أيمان القرآن).

حسن الإبتداء والإفتتاح – في السور المفتتحة بالقَسَم في جزء عمّ- جاء على أحسن الوجوه وأكملها، وهو أول ما يقرع السمع، فإذا كان الإفتتاح

بديعاً، وصُدّر بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السامع، أو تهويل أو تشويق، كان ذلك أدعى إلى الإصغاء والإستماع إلى ما بعده، فتجد افتتاحات السور متلائمة ومتناسبة مع المقصد الذي دلت عليه، وخواتم سور القرآن مثل فواتحها في حسنها لتضمنها المعاني البديعة، ووقوعها ينبيء عن الإنتهاء لئلا يتشوّف ذهن السامع إلى ما بعدها.

أهم التوصيات:

أوصي الدارسين وطلبة العلم بدراسة وتتبّع المناسبات الواقعة بين أركان القَسَم (المقسَم به والمقسَم عليه) في كتاب الله تعالى ودقة اختيارها في سياقها من السور والآيات ودراستها دراسة بلاغية، ولو فعلوا ذلك لوقفوا على بلاغة عظيمة ومناسبات شريفة تبهر العقول.

والله أسأل أن يكون عملي هذا في ميزان حسناتي يوم ألقاه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المصادر [1]*

- الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق أبي الفضل الدمياطي أحمد بن علي، دار الحديث - القاهرة، 1427هـ.
- أساليب القَسَم في اللغة العربية، للدكتور كاظم فتحي الراوي (ت1431هـ)، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، ط/ 1، 1397هـ.
- أسلوب القَسَم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، لعلي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، إشراف الأستاذ الدكتور فتحي عبد القادر فريد، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد، جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية، 1411هـ.
- إشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت340هـ)، تحقيق الدكتور عبد ربّ الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ 2، 1406هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (ت1393هـ)، وتتمته، لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم (ت1420هـ)، الناشر مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية، مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) – القاهرة، 1425هـ.
- الإعجاز البياني في ثُنائيَّات القرآن الكريم في ضوء علم المناسبة، لمسلم شاكر جبر، راجعه الدكتور خليل إبراهيم حمودي السامرائي، والدكتور عقيد خالد حمودي السامرائي، دار العصماء - سوريا، ط/ 1، 1437هـ.
- إعجاز القرآن الكريم عند ابن القيّم، لحسن بن عواد بن بلال العوفي، كرسي القرآن الكريم وعلومه – جامعة الملك سعود، ط/ 1، 1436هـ.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ)، ضبطه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور محمد محمد تامر، والدكتور محمد رضوان، والشيخ محمد عبد المنعم، دار الحديث - القاهرة، 1428هـ.
- إمعان في أقسام القرآن، لعبد الحميد الأنصاري الفراهي (ت1349هـ)، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط/ 1، 1415هـ.
- البرهان في إعجاز القرآن، أو بديع القرآن، لابن أبي الإصبع العدواني المصري (ت654هـ)، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب (ت1439هـ)، والدكتورة خديجة الحديثي (ت1439هـ)، منشورات المجمع العلمي العراقي، 1426هـ.
- البرهان في تناسب سور القرآن، للحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت708هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور سعيد بن جمعة الفلاحي، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط/ 2، 1431هـ.

(1) * ما ورد في قائمة المصادر والمراجع من دون تاريخ أو من دون عدد الطبعات فهو هكذا في الأصل.

● البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، تحقيق أبي الفضل الدمياطي أحمد بن علي، 1427هـ.
● بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المكتبة العلمية - بيروت.
● تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276ه)، تحقيق السيد أحمد صقر (ت1410هـ)، مكتبة دار التراث - القاهرة، 1427ه.
● التبيان في أيمان القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، إشراف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ت1429هـ)، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط/ 1، 1429هـ.
● التحرير والتنوير، (تفسير ابن عاشور)، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت1394ه)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1404ه.
● التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي (ت741ه)، ضبطه وصحّحه وخرّج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ 1، 1415ه.
● التعليق على القواعد الحسان المُتعلّقة بتفسير القرآن، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا - الرياض، ط/ 2، 1435ه.
● تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، والدكتور أحمد النجولي الجمل، قرظه الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ 2، 1428هـ.
● التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني (ت1429هـ)، مكتبة وهبة - القاهرة، ط/ 2، 1428هـ.
● التفسير البياني للقرآن الكريم، للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (ت1419هـ)، دار المعارف - القاهرة، ط/ 7.
● تفسير جزء عمّ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، إعداد وتخريج فهد ابن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الثريا - الرياض، ط/ 2، 1423هـ.
● تفسير سورة البقرة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421ه)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار بن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط/ 1، 1423ه.
● تفسير سورة يس، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421ه)، اعتنى به وخرّج أحاديثه فهد ابن ناصر ابن إبراهيم السليمان، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا - الرياض، ط/ 2، 1424ه.
● تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر (ت1410هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، 1428ه.
● التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت604ه)، دار الكتب العلمية - بيروت، 1430هـ.
● تفسير ابن كثير، المسمى (تفسير القرآن العظيم)، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، قدّم له الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ت1425هـ)، مكتبة دار الفيحاء - دمشق، مكتبة دار السلام - الرياض، ط/ 1، 1414هـ.
● التفسير اليسير (سورة الفاتحة وجزء عمّ)، إعداد هدية الحاج والمعتمر - المكتب العلمي -، تقديم الشيخ محمد بن عبدالله السبيل (ت1434هـ)، والشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين (ت1430هـ)، والشيخ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله الخضير، مراجعة نخبة من العلماء.
● التناسب بين المقسَم به والمقسَم عليه وأثره في التفسير، لمحمد بن علي القرني، إشراف الدكتور صدّيق أحمد مالك علي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير

في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، 1434هـ.
- تناسُق الدُّرر في تناسُب السور، لأبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ 1، 1406هـ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي (ت370هـ)، تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ 1، 1425هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت1376هـ)، قدّم له الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل (ت1432هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن مُعلاّ اللويحق، دار السلام - المملكة العربية السعودية.
- الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ)، راجعه وضبطه وعلّق عليه محمد إبراهيم الحفناوي، خرّج أحاديثه الدكتور محمود حامد عثمان، دار الحديث - القاهرة، 1428هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، (تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تحقيق هاني الحاج، وعماد زكي البارودي، وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية - القاهرة.
- الجامع لحياة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي، لتلميذه الشيخ الدكتور وليد بن أحمد الحسين الزبيري، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة - بريطانيا، ط/ 1، 1422هـ.
- جماليات السياق القرآني وتجلّياته في الدرس البلاغي، للدكتور عقيد خالد العزاوي، دار العصماء- سوريا، ط/ 1، 1436هـ.
- جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، للدكتور أحمد بن محمد بن إبراهيم البريدي، مكتبة الرشد - الرياض، ط/ 1، 1426هـ.
- دراسات في علوم القرآن الكريم، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مركز تفسير للدراسات القرآنية - المملكة العربية السعودية، ط/ 14، 1426هـ.
- ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ 5، 1425هـ.
- ديوان المفضليات لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي (ت168هـ) ، مع شرح وافر لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت304هـ)، عني بطبعه ومقابلة نسخه وتذييله بحواش وروايات لعدة لغويين وعلماء كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت، 1920م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت1270هـ)، تحقيق وتخريج الدكتور السيد محمد السيد، والأستاذ سيد إبراهيم عمران، دار الحديث - القاهرة، ط/ 1426هـ.
- سنن الترمذي، للحافظ محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، اعتنى به الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف- الرياض، ط/ 2 ، 1429هـ.
- سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، اعتنى به الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف – الرياض، ط/ 2 ، 1427هـ.
- شرح أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط/ 1، 1434هـ.
- شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط/ 2، 1436هـ.
- شرح نظم الورقات في أصول الفقه، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، طبع بإشراف مؤسسة

الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط/ 1، 1425هـ.
الشيخ ابن عثيمين، جهوده وآراؤه في علوم البلاغة، للدكتور منير بن محمد الدّحام، دار ابن حزم - بيروت، ط/ 1، 1434هـ.
- صحيح البخاري، للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت256ه)، اعتنى به محمود بن الجميل، طبعة موافقة لترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي (ت1388ه)، مكتبة الصفا - القاهرة، ط/ 1، 1423هـ.
- صحيح مسلم، للحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261ه)، حقّق أصوله وخرّج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، ط/ 2، 1428هـ.
- صفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسنين محمد مخلوف (ت1410هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ط/ 3، 1407هـ.
- صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، ط/ 4، 1402هـ.
- علم المناسبات في السور والآيات، للدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول، ويليه: (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، المكتبة المكية - مكة المكرمة، ط/ 1، 1423هـ.
- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، للدكتور نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية - دمشق، ط/ 2، 1437هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ)، راجعه وعلّق عليه الشيخ هشام البخاري، والشيخ خضر عكاري، المكتبة العصرية- بيروت، 1429هـ.
- فواتح سور القرآن، للدكتور حسين نصار (ت1439هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/ 1.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، اعتنى به جمعاً وترتيباً وتصويباً، وعزا آياته وخرّج أحاديثه، ووضع فهارسه، وأشرف على طبعه الشيخ الدكتور سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل، والشيخ الدكتور خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، ط/ 1، 1415هـ.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، دار صادر - بيروت.
- مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح (ت1407هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط/ 10، 1432هـ.
- مجاز القران، لأبي عُبيده مَعْمَر بن المثنى التيمي (ت210ه)، عارضه بأصوله وعلّق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين (ت1439هـ)، الناشر: مكتبه الخانجي - القاهرة.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت728هـ)، عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء - المنصورة، ط/ 2، 1421هـ.
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، طبع بإسراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر- الرياض، ج10، ط/ 1، 1429هـ.
- المُسنَد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت241ه)، شرحه ووضع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر (ت1377ه)، دار الحديث - القاهرة، ط/ 1، 1416ه.
- معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت215هـ)، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/ 1، 1411هـ.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)، عالم الكتب - بيروت، ط/ 3، 1403هـ.
- معجم القراءات القرآنية (مع مقدّمة في القراءات وأشهر القراء)، للدكتور عبد العال سالم مكرَم، والدكتور أحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط/ 2، 1408هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها ، للدكتور أحمد مطلوب (ت1439هـ)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج3 ، 1407هـ.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي (ت1388هـ)، دار الحديث - القاهرة، 1428هـ.
- مفاتيح التفسير (معجم شامل لما يهم المفسر معرفته من أصول التفسير وقواعده ومصطلحاته ومهماته)، للدكتور أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية - الرياض، ط/ 1، 1431هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ت420هـ)، راجعه وعلّق عليه نجيب الماجدي، المكتبة العصرية - بيروت، 1430هـ.
- مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ 2، 1429هـ.
- المناسبات القرآنية عند الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، للدكتور رأفت المصري، إشراف الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، دار النور المبين – عمان، ط/ 1، 1437هـ.
- نظمُ الدُّرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ 3، 1427هـ.
- نهر الخير على أيسر التفاسير، طبع مع: (أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير)، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري (ت1439هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية، ط/ 6، 1430هـ.
- وَجْهُ النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار، للشيخ الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم - بيروت، ط/ 1، 1427هـ.